



الحواريين الأديان ضوابطه وآدابه

د. ماجد بن محمد الماجد

الأستاذ المشارك في

جامعة الملك سعود





مقدمة

في ظل النظرة الإسلامية الصحيحة لا دعوة من دون حوار، وبهذا المعنى فإن الحوار يعني العدل والرحمة واحترام حرية الآخرين. واحترام الآخر لا يعني بالضرورة الرضا بمعتقداته أو إقراره عليها. وليس الهدف من الحوار مجرد فك الاشتباك بين الآراء المختلفة أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر، وإنما هدفه الأكبر هو إثراء الفهم المتبادل، وترسيخ قيمة التعاون بين البشر. فالحوار بين أتباع الأديان في بعض جوانبه بنية نفسية واجتماعية وسياسية وثقافية إنسانية؛ منطلقها الإنسان الفرد، وهدفها مصلحة البشر المحلية أو الإنسانية عامة، والقدرة على إقامة الحوار وبناء علاقة تواصل مع الآخر موهبة فردية وقيمة إنسانية.

وإذا كانت حاجة الفرد ضرورية لاستخدام قدرته على الحوار مع الآخر سواء أكان فردا داخل عائلته أم مواطناً يشاركه الفضاء الجغرافي والثقافي والاقتصادي أو كان إنساناً يشاركه الانتماء إلى نفس الكينونة؛ فإن حاجة أتباع الأديان لإقامة حوار فيما بينهم أكثر إلحاحاً؛ لأن انعكاسات انغلاق أتباع الأديان وتصلبهم يورث تصلب العقليات وتفشي التعصب؛ فتتشر العدائية بسرعة، ويتسع تأثيرها إلى حد اندلاع الحروب والصدامات والنزاعات القبلية والعرقية والدولية.

كما أن الحوار بين الأديان ضرورة قصوى من ضرورات الحياة في ظل السلام العادل والاحترام المتبادل والتطبيق النزيه لقواعد القانون الدولي. والحوار بين الأديان دليل على النضج الفكري الذي أدركته البشرية، وتفرضه



تجارب الأمس وحوادث اليوم ومخاوف الغد. ومكافحة شتى أشكال اللامبالاة وعدم التفهم تقتضي معرفة الآخر في خصوصيات حضارته وتطلعاته، وأهمها الدين الذي يقيم عليه منظومته القيمة والاجتماعية، وهو ما يستوجب إغناء ذهنية الفهم والاحترام المتبادلين^(١).

كما أن الحوار بين الأديان متسق وسنة الاختلاف الذي قال فيه المولى سبحانه: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

وتستند شرعية الحوار في الإسلام إلى آيتين كريمتين أولاهما: قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥). ولذا فلا مجادلة في مشروعيته، بل هو واجب شرعي على العلماء المؤهلين، لأنه من أعظم سبل الدعوة إلى الإسلام.

ولما كان للحوار أهدافه التي يرجى الوصول إليها، فإنه يستوجب طائفة من الضوابط والآداب الواجب أن يتلزم بها، ومن أهم هذه الضوابط ما يلي:

(١) مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا، محمد عمارة، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٩ م، المقدمة، ص ٥-١٤.



أولاً : ضوابط الحوار

الضوابط في اللغة جمع " ضابط " وهو مأخوذ من الضبط، وهو لزوم الشيء وحبسه (١).

أما الضابط في الاصطلاح فقد تنوعت عبارات العلماء في تعريفه، إلا أن أقرب هذه التعريفات إلى المقصود بها في هذا البحث أنه قضية كلية تنطبق على جزئياتها التي هي من باب واحد، وعموماً فالضابط هو كل ما يحصر جزئيات أمر معين (٢).

ومراعاة تلك الضوابط والآداب من السنن المرعية ، فالجدل : " هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ؛ فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعاً ، وكل من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج ، ومنه ما يكون صواباً ، ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً ، وكيف يكون مخصصاً منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت ، ولخصمه الكلام والاستدلال ؛ ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه " (٣).

(١) انظر : لسان العرب، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، مادة (ضبط)، (٧/ ٣٤٠).

(٢) انظر : القواعد الفقهية للدكتور يعقوب الباحسين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، ص ٥٨ .

(٣) تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ١/ ٥٧٣ .



- التمسك بالثوابت الشرعية :

وتشمل أصول العقيدة ومبادئ الدين ، ومنها أن الإسلام قد جاء ناسخاً للشرائع السماوية التي سبقته فلا يجوز بأي حال القول بأن كل الأديان السماوية عند الله سواء وأن 'وحدة الأديان' - بمعنى أن الاتفاق على مبادئ مشتركة بين الأديان السماوية - وربما غير السماوية وأن كل من آمن بها فهو مؤمن - أمر مقبول فهذا مما يفرغ الرسالة الإسلامية من مضمونها ، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران : ١١٠) ، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨) ، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣) .

وفي مقدمة ثوابتنا الشرعية ؛ النصوص والأحكام التي لم تترك فيها الشريعة مجالاً للاجتهاد فيها، وهي المسائل التي لا تقبل التحريف أو التبديل، كحرمة الزنا واللواط وشرب الخمر وفرضية الحجاب وغيرها؛ مما يجب على المؤسسات الإسلامية ، وكل محاور مسلم من العلماء والدعاة توضيحيه للطرف المحاور، وليس هذا مما ينافي الحوار؛ بل هو من تمام الوضوح ، وبيان الموقف ، والصدق في الحوار^(١).

(١) الولاء والبراء، محمد سعيد القحطاني ، دار طيبة، الرياض، ط (٢) ١٤٠٤هـ، ص ٥٢ وما بعدها.



- بيان المراد بحوار الأديان :

- وهذا الضابط من أهم ما يمكن اشتراطه قبل الدخول في أي حوار للأديان ، بالنظر إلى ما أحيطت به القضية من غبش في التصور ، أو سوء في المقاصد ، وانحراف بالغاية التي يجدر بحوار الأديان أن ينشأ من أجلها^(١).

وعليه فإن الحوار بين الأديان متنوع بحسب أهدافه وأغراضه، منها ما هو حق، إذا كان دعوة وبياناً وبحثاً عن الحق وسبيلاً إلى التعايش والتفاهم والتعاون على البر والخير، ومنها ما هو باطل، إذا كان نقضاً للدين ، وتمييعاً لشرائعه ، وطمساً لمعامله ، ولذلك فإن حوار الأديان لا يرد مطلقاً لأننا بذلك نرد الحق الذي فيه، ولا نقبله مطلقاً لأننا بذلك نقبل الباطل الذي فيه .

كما يجدر بنا أن بين بكل وضوح حقيقة الحوار بين الأديان في المنظور الغربي ، وما شابه من أهداف تنصيرية ، واستعمارية ، فقد ذكر دانيال آر بروستر، في محاضرة له بعنوان " الحوار بين النصارى والمسلمين " عدة حقائق توضح حقيقة الحوار عند النصارى منها أنه في عام ١٩٦٠ م ، أقر مجلس الكنائس العالمي الحوار مع المسلمين ، وكان يعتبر هذا الحوار وسيلة مفيدة للتنصير ، وفي عام ١٩٦٨ م ، نقل الحوار خارج محيط التنصير ، واكتفى بالإقرار بصحة الديانة النصرانية ، وفتح أبواب الصداقات، والمشاركة في الحياة على وفق ما يراه النصراني .

وذكر هيو كيتسكل - زعيم حزب العمال البريطاني - في كتابه " التعايش السلمي والخطر الذي ينتابه " تعريف التعايش بأنه : " مناورة خالصة، وهي

(١) انظر : الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، :أبو زيد بن محمد مكي ، موقع الإسلام اليوم .



ظاهرة مؤقتة ، قد تقتضي تحوير السياسة بوقف القتال ، وتخفيف الضغط " (١). وفي هذا السياق ينبغي ألا يتضمن أي حوار مع الأديان ؛ الإقرار بصحة معتقدات الآخر ، فهذا نفس للعقيدة الدينية من جذورها ، وإن كان هذا لا يعني انتقاص حقوقه أو الاعتداء عليه ، ولا يوجب عدم محاورته ولا التعايش معه ، بل المسلم يتعاون مع البشر جميعاً على ما فيه الخير والبر ، كما أن في إقرار غير المسلم على معتقده اعترافاً بصحة دينه ، وهذا له دور كبير في صد النصارى واليهود وغيرهم من الملل عن الدخول في الإسلام (٢) .

ولا بد هنا من التأكيد على أن الحوار المتعلق بالعلاقة المعيشية بين معتنقي الأديان ، وما يتوافر عليه من تحسين العلاقة بين الطوائف ، والأقليات الدينية ، فإن الإسلام يرحب به ، ويدعو إليه في ضوء الإحسان والبر والقسط ، ولا يتنافى مع نصوص الشرع الناهية عن موالة الكفار (٣) ، قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٨).

فمفهوم التسامح والتعايش في الإسلام هو : التعامل مع غير المسلم وفق الحكمة واللين والمعروف سواء في ذلك التعامل في الخطاب ، أو في مطلق

(١) انظر : التنصير ، خطة لغزو العالم الإسلامي ، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بالولايات الأمريكية عام ١٩٧٨ (٧٦٧ - ٧٨٣) .

(٢) انظر : التنصير ، عبد الرحمن الصالح ، دار الكتاب والسنة ، برمنجهام ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٦٢ - ٦٦ .

(٣) انظر : دعوة التقريب بين الأديان ، أحمد القاضي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ - ٣٤٩ / ١ .



التصرف، وفق الضوابط الشرعية^(١).

ومما يتصل بهذا الضابط، التنبيه إلى اتخاذ هذا الحوار وسيلة للتنصير وتشويه حكم الردة في الإسلام، أو محاربة مفهوم الجهاد في الإسلام، أو إضعاف عقيدة الولاء والبراء، أو التدخل في الشأن الداخلي للدول الإسلامية.

وأهم مما سبق الإعلان الصريح عن رفض المسلمين للوحدة بين الأديان، المفضية إلى القول بصحة جميع المعتقدات والديانات، وأنها ينبغي أن تكون جنباً إلى جنب، تتزامل في الإيمان، دون أن يتخلى كل دين عن عقائده وشرائعه الخاصة به، وهذا يشمل ما يسمونه وحدة الأديان الإبراهيمية التي تعلن انتمائها إلى إبراهيم عليه السلام، وهي الإسلام واليهودية والنصرانية^(٢)، والداعية إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، والدعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد^(٣).

ويشمل كذلك وحدة كل الأديان والملل الوثنية، بل والملحدين، بجامع أن تلكم الوثنيات آثار نبوات سابقة، وأن الملحدين يؤمنون بالإنسان، وأن

(١) انظر: تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر، عبد اللطيف الحسين، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤١٩ هـ، ص ٢٦.

(٢) انظر: دعوة التقريب (٣ / ١١٤٠ - ١١٧٣).

(٣) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، بكر أبو زيد، ص ٢٢ - ٢٥ وانظر: الولاء والبراء، لمحمد سعيد القحطاني (٣٤٦ - ٣٥١)، ودعوى " وحدة الأديان : أهدافها، حكمها، خطرها "، علي أبو لوز، ومحمود المطر، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ.



للحياة معنى (١).

وبمجمال من القول فلا بد في كل جولة حوارية تنهض بها مؤسسة مسؤولة في العالم الإسلامي من التأكيد على أن الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى إنما هو من أجل دعوتهم للدين الإسلامي الخاتم والناسخ لجميع الأديان السابقة ، وإيضاح محاسن الإسلام لهم ، وبيان ما هم عليه من باطل ، واستنقاذهم من ظلمات الشرك والجهل ، هذا الهدف من أعظم ما يدعو إليه الإسلام ، وبالتالي فهذا النوع من الحوار ، هو أول الغايات المطلوبة شرعاً ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٤).

- المنهجية العلمية :

سلوك الطرق العلمية والتزامها ، ومن أهم سبلها تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوى ، وصحة تقديم النقل في الأمور المنقولة ، وفق القاعدة المعروفة : " إن كنت ناقلًا فالصحة ، وإن كنت مدعيًا فالدليل " (٢) ، وفي التنزيل جاء قوله سبحانه : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وفي أكثر من سورة : البقرة : ١١١ ، والنمل ٦٤ . ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي ﴾ (الأنبياء : ٢٤) . ﴿ قُلْ هَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ

(١) انظر : دعوة التقريب لأحمد القاضي (١ / ٣٤١) .

(٢) انظر : ضوابط المعرفة ، عبد الرحمن الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٣٦٥ .



صَادِقِينَ ﴿آل عمران: ٩٣﴾ .

ثم التأكيد من سلامة كلام المناظر ودليله من التناقض ؛ فالمتناقض ساقط بداهة ، ومن أمثلة ذلك وصف فرعون لموسى عليه السلام بقوله : ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (الذاريات: ٣٩) ، وهو وصف قاله الكفار - لكثير من الأنبياء بما فيهم كفار الجاهلية - لنبينا محمد ﷺ . وهذان الوصفان السحر والجنون لا يجتمعان ، لأن الشأن في الساحر العقل والفتنة والذكاء ، أما المجنون فلا عقل معه البتة ، وهذا منهم تهافت وتناقض بين ، كما نعت كفار قريش آيات محمد ﷺ أنها سحر مستمر ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (القمر: ٢) ، وهو تناقض ؛ فالسحر لا يكون مستمراً ، والمستمر لا يكون سحراً .

وللمنهجية العلمية سبلها المتعارف عليها ، وفي مقدمتها : تقديم الأدلة المثبتة للدعوى ، وإثبات صحة المنقول من الحجج والأقوال .

ومن المنهجية أن لا يكون الدليل هو عين الدعوى ، لأنه إذا كان كذلك لم يكن دليلاً ، ولكنه إعادة للدعوى بالفاظ وصيغ أخرى . وعند بعض المحاورين من البراعة في تجميل الألفاظ وزخرفتها ما يوهم بأنه يُورد دليلاً . وواقع الحال أنه إعادة للدعوى بلفظ مُغاير ، وهذا تحايل في أصول لإطالة النقاش من غير فائدة .

ومن ضمانات المنهجية في الحوار الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة . وهذه المُسَلَّمات والثوابت قد يكون مرجعها ؛ أنها عقلية بحثة لا تقبل النقاش عند العقلاء المتجردين ؛ كحُسن الصدق ، وقُبْح الكذب ، وشُكر



المُحسن ، ومعاقبة المُنذِب ، أو تكون مُسَلِّمات دينية لا يختلف عليها المعتنقون لهذه الديانة أو تلك ، وبالوقوف عند الثوابت والمُسَلِّمات ، والانطلاق منها يتحدد مُريد الحق ممن لا يريد إلا المراء والجدل ، ففي الإسلام الإيمان بربوبية الله وعبوديته ، واتّصافه بصفات الكمال ، وتنزيهه عن صفات النقص ، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الكريم كلام الله ، والحكم بما أنزل الله ، وتعدد الزوجات ، وحرمة الربا ، والخمر ، والزنا ؛ كل هذه قضايا مقطوع بها لدى المسلمين ، وإثباتها شرعاً أمر مسلم به . وإذا كان الأمر كذلك ؛ فلا يجوز أن تكون هذه محل حوار أو نقاش مع مؤمن بالإسلام لأنها محسومة ، كما سبق البيان في الحديث عن الثوابت الشرعية .

ومن أسس المنهجية ؛ التركيز على الأفكار ، فهدف الحوار هو الاستفادة من الأفكار وليس تدمير الأشخاص ، ولذلك ؛ فإن من أهم ضوابط الحوار: التركيز على فض الاشتباكات الفكرية دون التعرض السلبي للأشخاص بتشويه أو تجهيل ، فلا خلاف مطلقاً بين أشخاص المتحاورين ، وإنما بين أفكارهم ، والفكرة الحسنة تُمتدح بغض النظر عن قائلها ، والفكرة الخطأ تُراجع دون تسفيه قائلها أو التهكم منه ، فالنظر دائماً إلى الآخر من خلال ما قيل ، لا من قال (١) .

ولا شك أن التحوار ضمن هذا المبدأ ، أي مبدأ افتراض المخالفة هو المدخل الذي يضع الآخر في أول الطريق الصحيح للتفكير ، لأنه يرى أن من يحاوره يضع نفسه معه في موضع المجادلة المشتركة لمعرفة الحق ؛ قال تعالى على لسان نبيه ﷺ ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ : ٢٤) .. هكذا في

(١) مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م / ٣ ، ٥٤٥



هدوء من يبتغي للآخر الإرشاد والإفهام، وليس الإفحام والإذلال، وفي ثقة من أخلص للحق المجرد فصح انقياده له، ولم يهتم بمن قاله من البشر، وإنما كان جُل اهتمامه بالقول في ذاته وتمييز الحسن منه والأحسن، ثم اتباع الأحسن، فكان من أصحاب البشرى بالنجاح وتحقيق الأهداف في الدنيا، والنعيم في الآخرة؛ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧ - ١٨).

وعلى المحاور تجنب التفكير السطحي الذي لا يغوص إلى أعماق المشكلات، ولا يدرك أثر العلاقات ببعضها، ولا يستوعب تأثير المتغيرات، بل يتوقف عند الأسباب الظاهرة للمشكلة، التي غالباً ما تكون أعراضاً للمشكلات وليست جواهرها. وهو يغيب العقل، ويهمل العلم، ويغفل العمل، ويجافي سنن الله في الآفاق والأنفس. ومن سماته التفكير السطحي؛ إرجاع المشكلات والظواهر إلى عامل واحد، مع إغفال أن تعقيد المشكلات لا يستوعبه سبب واحد، وفيه قدر من التبسيط يتنافى مع عمق التجارب الإنسانية^(١).

كما تقتضي المنهجية العلمية؛ عدم تغليب دوافع الذات وعواطفها وانحيازاتها الفكرية والاجتماعية على العناصر الحقيقية والعلمية للموضوع بحيث لا يتحدد الموقف بشكل تعسفي وعلى غير ما يجب أن يكون من صدق وأمانة وإخلاص وتوازن^(٢).

(١) انظر: "الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية"، أحمد عبد الرحمن الصويان، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٤١٣هـ، ص ١٢.

(٢) انظر علي القرشي التريية الحوارية: دراسة في إشكاليات الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي - المسلم المعاصر (بيروت) - ٨٨ع (١٩٩٧-١٩٩٨) - ص ٨٣-١٠٦.



والحوار الناجح يضبط العلمُ مساره ، وتوجه المنهجية الموضوعية المرتكزة على العلم موقف كل طرف فيه تجاه الآخر ، فلا يستقيم حوار بدون العلم ، بل في غيابه يصبح ضرر الحوار أكثر من نفعه ، لأن جهود المتحاورين في هذه الحال تذهب سدى وتضيع بلا ثمرة تذكر .. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه " (١) .

ولقد عاب الله - جل وعلا - على أهل الكتاب المحاجة فيما لا علم لهم به فقال : ﴿ هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٦٦) .

وأما العدل فهو الطريق إلى اعتدال أخلاق المتحاورين بين طرفي الإفراط والتفريط ، وهو الحامل لهم على قبول الحق من الخصم . ويستتبع ذلك التهيؤ للتفاكر والاخلاص ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارِكُمْ ثُمَّ تَقَفُّوا مِنْهُ عَلَى عُنُوقِهِمْ وَمِنْهُ لَكُمُ الْعَذَابُ الْكَبِيرُ ﴾ (سبأ : ٤٦) .

والموضوعية من أسس بناء أي حوار هادف ، ومن موضوعية الحوار في الإسلام أنه بيان للحق ودعوة إليه ، وليس اتباعاً للهوى وتحقيقاً لما يتوهم من مغالبة وادعاء نصر على الخصم ، ومن تتبع الحوار في القرآن الكريم وجد كيف تكون الحجة وكيف يقوم الدليل في القضية التي يراد إبلاغها .

وعلى كل من يحاور في قضية معينة أن يتوخى الموضوعية قدر الإمكان ، فيتحرر من أي أحكام منحازة تجاه الموضوع المطروح للنقاش . كما تفرض

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ، دار ابن حزم ، بيروت ط ١ ، ١٩٨٣ م ، ص ٤٣ .



الموضوعية ترك التعصب ، والتحرر من " ثقافة الاجترار " (١) ، ومن أسس الموضوعية في الحوار ؛ تحرير موضع النزاع وتعيين الموضوعات المعدة للتحاور ، ووحدة الأفكار وتسلسل الموضوع تسلسلاً ممنهجاً ، لا حيدة فيه ولا شطط ، ومن الموضوعية أيضاً الشجاعة في الإعلان عن الاختلاف ، والنأي عن المواربة ، فبهذا الإعلان ستتقدم خطوات نحو الفهم المنشود للطرف الآخر . وليست المعضلة في وجود الاختلاف ، بل كيف نفهم اختلافنا ونتعايش معه ، غير أن هذا الرحابة في تفهم الاختلاف لا تعني قداسته ، بل لم يأت الحوار إلا لمناقشتها نقاشاً علمياً وموضوعياً ، وبالمقياس فإن تقدم العلوم الطبيعية في العصر الحديث تولد من حوار صادق وموضوعي حول العلم ونظرياته .

ومن النصوص البليغة التي تعلمنا منهجية الحوار قول الربيع بن سليمان المرادي : " كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة ؛ فغدا إلى غيرها ، يقول : نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد " (٢) .

- اعتماد الدليل والبرهان :

يقول الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) . والحكمة هنا : المقالة المحكمة الصحيحة ، والحجج القطعية المفيدة لليقين ، ولا يكون ذلك ، إلا باعتماد القواعد العقلية

(١) الاختلاف لا يعني الخلاف ، محمد المفتي ، مجلة المؤتمر ، السنة الأولى ، العددان (الثامن والتاسع) (سبتمبر ، أكتوبر) ٢٠٠٢ م ، ص ٣٠-٤١ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بدر الدين بن جماعة ، دار الكتب العلمية ، ص ٤٠ .



المتفق عليها بين الناس، والشواهد الكونية العلمية المحسوسة^(١).

ولذا فإن القرآن الكريم لما دعا الناس إلى التوحيد لجأ في دعوته إلى الحجج العقلية والدلائل العلمية، يقول تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ. لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٢ - ٢٣)، ففي الآية دليل على برهان التمانع العقلي الذي يحتج به علماء العقائد، وذلك أنا لو فرضنا إلهين، فأراد أحدهما شيئاً وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل منهما، وذلك محال لاستحالة الجمع بين النقيضين في الزمان والمكان الواحد، وهذه قاعدة عقلية متفق عليها، وإما أن تنفذ إرادة واحد منهما دون الآخر فيكون الأول الذي تنفذ إرادته هو الإله، والثاني عاجز فلا يصلح أن يكون إلهاً. فالله تعالى جمع في هذه الآية بين البرهان العقلي المتفق عليه والبرهان العلمي المشاهد، فهو يخاطب المشركين: أأتستطيع ألهمتكم إحياء الموتى؟! وهو استفهام إنكاري، ثم انظروا إلى الكون هل ترون فيه اختلافاً، أو فساداً في نظامه؟! وتفكروا في ملكوت الأرض. ألا يدللكم ذلك على وحدانية الله تعالى^(٢).

ولذا أكثر القرآن الكريم من دعوة الناس للتدبر في كتاب الكون المنظور، كما يتدبرون كتاب الله المسطور قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

(١) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م ٣/ ٤١٣. وفتح القدير، لمحمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ٢٧٦.

(٢) انظر: روح المعاني، محمود الألوسي، دار الفكر، بيروت ١٢/ ٣٥٠. ونظم الدرر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ٥/ ٢٩٤.



وَالْأَرْضَ وَاخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفَ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿البقرة: ١٦٤﴾ .

بل دعاهم إلى الاستفادة من الدروس التاريخية للاعتبار بعاقبة الظلمة والمتكبرين، يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم: ٩)، وضرب لهم أمثلة عملية من أصحاب السلطة كفرعون والنمرود وغيرهما، ومن أصحاب المال والجاه كقارون والوليد بن المغيرة وغيرهما حتى تكون هذه الدروس عظة وعبرة.

- حوار الأديان لا وحدة الأديان :

مقصود الحوار في الإسلام مع الآخرين إنما هو للتعريف بالإسلام وإيجاد مساحة يستطيع الجميع في ضوئها التعامل والتفاهم مع المخالفين ، وليس المقصود من الحوار من أجل أن ننشئ ديناً جديداً كما يحاول البوذيون واليهود والنصارى وغيرهم ، فلا دين حق إلا الإسلام ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) ، لكن إذا كان الحوار دعوة إلى دين الله وبيانا لرسالته الخالدة الخاتمة ، وحتى تتفق الشعوب وتتفق الأمم على ما كان من دين الله قبل الخلاف وعلى الأصول الواحدة من الإيمان بالله الواحد والإيمان



باليوم الآخر والإيمان بالرسول وبالكتب السماوية ككل في ظل قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ...﴾ (الشورى: ١٣)، وكان الحوار كذلك حتى يكون بين المسلمين وغيرهم مساحة من الفهم والتعاون على البر والعدل، فلا مانع في ذلك، أما أن يكون سبيلاً للتمييع أو للهيمنة والتسلط فلا.

وفيما يخص دعوى "وحدة الأديان"، فقد استعرضت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهود، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء: مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب، وقررت اللجنة أن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، التي الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، التي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، والإسلام بعد بعثة محمد؟ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان. وأن من أصول



الاعتقاد في الإسلام أن كتاب الله تعالى : (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى: (القرآن الكريم) قال الله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٤٨) ، ويجب الإيمان بأن (التوراة والإنجيل) قد نُسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم منها قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ١٣) ، ولهذا فما كان منها صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل ، ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠).

ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى ، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٦) ، وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية؛ تقرر اللجنة أن الدعوة إلى: "وحدة الأديان" والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة مأكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه . فلا



يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها. ثم بينت اللجنة - أثابها الله - وجوب الحوار مع أتباع تلك الأديان بقولها: "يجب أن يعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام؛ وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاقدة الإيمان؛ فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون؛ والله المستعان على ما يصفون^(١).

ومن يتتبع تاريخ هذه الدعوى الباطلة؛ يجدها قد نشأت في أحضان التنصير، والصهيونية العالمية^(٢)، كما كان للبهائية مشاركة في إيجاد دين يوافق عليه الجميع!^(٣)، ولها جذورها عند بعض رؤوس الفرق الضالة، وقد

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة، فتوى رقم ١٩٤٠٢.

(٢) انظر الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢م ٣١٨/٢.

- ٣٢٠، والإسلام والأديان لمحمد عوض ص ٣٥.

(٣) انظر الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين ٣٢١/٢.



أشار إلى ذلك ابن تيمية - رحمه الله - في أكثر من موضع في كتبه، فمن ذلك قوله: "يجعلون أفضل الخلق" المحقق "عندهم"، وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، بل كان ابن سبئين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقاً إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين" (١).

وتتضمن دعوة وحده الأديان تجويزاً وتسويغاً لاتباع غير دين الإسلام، وهذا كفر يناقض الإيمان، فمن اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر، يقول ابن تيمية: "ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام، أو اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر، وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب" (٢).

- التكافؤ في فرصة الحوار:

فلا يُشعر طرف بالقهر أو الضعف، إذ إنه لو كان الحوار بين قوي وضعيف، أو غالب ومغلوب، أو مستعمر ومستعمر، أو قاهر ومقهور.. الخ، فإنه لن يكون هناك حوار، وإنما سيكون هناك إملاء من طرف والقبول أو الاستسلام من الطرف أو الأطراف الأخرى.

(١) الصفدية ١/ ٢٦٨، وانظر: الصفدية ١/ ٩٨، ٩٩، والرد على المنطقيين ص ٢٨٢ ومجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٥٢٤، وانظر مختصر الفتاوى المصرية ص ٥٠٧.



ويكفي المرء أن يراجع مواقف القوى العالمية الكبرى، منذ الحرب العالمية الثانية، تجاه قضايا العالم الثالث على العموم، والبلاد الإسلامية على الخصوص، حتى يتجلى له انطباق هذه الحقيقة على الضعفاء، وكم ضاعت حقوق في مؤتمرات عقدت للحوار حول قضايا محددة ؟ ، فالحوار الذي لا يقوم بين أطراف متكافئة لا تكون نتائجه عادلة، ولذلك أكدت شريعة الإسلام على العدل المطلق بين الصديق والعدو، مع القريب والغريب، وتكفي الإشارة هنا إلى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨) .

- البعد عن التسرع في إصدار الأحكام:

إذ إن التسرع في إصدار الأحكام دون روية، مع عدم وضوح الرؤية، يوقع في أغاليط وأخطاء. ويدفع التسرع عادة إلى: الغرور والاعتداد بسرعة البديهة والكسل الذهني وعدم الرغبة في إجهاد الفكر للتعرف على الحق والانفعال النفسي .

واشتد نكير القرآن على المسارعين إلى إصدار الأحكام وإشاعتها، دون السماح لها بالمرور بمنطقة الفهم والتبصر، قال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور: ١٥)، ويتهدد القرآن الفاعلين لذلك بالعقوبة الإلهية، لما يترتب على هذا الأسلوب في الحكم من أخطاء، ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ١٧).



- حسن الاستعداد :

إن الحوار يجب أن يكون هو الخطوة التمهيدية الأولى في طريق التفاهم المتبادل ، ولذلك فإنه من الضروري أن يتعرف المتحاورون قبل التحاور على الأهداف العملية للحوار ، ويتبينوا ما هي الدوافع الفكرية الطارئة والمنعطفات النظرية العارضة التي قد تلفتنا عن أهداف الحوار لتتحرف بالحوار إلى غير المنشود ، ومن حسن الاستعداد ؛ العلم الركين بموضوعات الحوار ؛ وبخاصة إذا كان حواراً في دين الله ومحاكاة بقوله تعالى وبقول رسوله ﷺ ، وأن تكون المصطلحات متحدة في مفهومها ، مع اختيار الزمان والمكان المناسبين ، وتعيين الوقت الكافي للتحاور حول كل جوانبه ، وأن تعرض الخلاصة والصياغة النهائية للتحاور قبل اعتمادها^(١).

ويتصل بحسن الاستعداد ، أهلية المحاور ؛ فإذا كان من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه ، فمن الحق ألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه ، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في المرء ألا يعترض على ما ليس له أهلاً ، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفوً ، ومن الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق ، أو من لا يجيد الدفاع عن الحق ، ومن لا يدرك مسالك الباطل ، ذلك أن الجاهل بالشيء ليس كفواً للعالم به ، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم ، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم - عليه السلام - في محاجته لأبيه حين قال : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (مريم: ٤٣) ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة ، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل" (٢).

(١) انظر : حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين ، سعد الصيني ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ، ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام ، الرياض ١٧٣ / ٧ .



- البلاغة والإيجاز:

الحوار الناجح هو حوار يخلو من الإطالة الزائدة عن الحد ، التي تُحوّل الحوار إلى خطبة يتشدد فيها كل طرف من أطراف الحوار ويتفاح بكثرة الكلام ، بل وغرابته أحياناً !! ، قال رسول الله ﷺ: ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون والمتفيهقون))، قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: ((المتكبرون)).

قال الحافظ المنذري : الثرثار بشاءين مثلثتين مفتوحتين هو الكثير الكلام تكلفاً ، والمتشدد هو المتكلم بملء شذقيه تفاحاً وتعظيماً لكلامه ، والمتفيهق أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو بمعنى المتشدد لأنه الذي يملأ فاه بالكلام ويتوسع فيه إظهاراً لفصاحته وفضله واستعلاء على غيره ، ولهذا فسرّه النبي ﷺ بالمتكبر " (١).

كما أن الإطالة والتكرار والإسهاب وهو ما يطلق عليه الحجة الأفقية لا ينتج عنه إلا دفن الفكرة الرئيسة للحوار وسط هذا الكم الكبير من الكلام ، ومن ثم عدم قدرة الآخر على اكتشاف ما نقصد فضلاً عن فهمه وتدبره ؟ !

وإذن : فالمحاوّر العاقل هو من يحاول الوصول إلى هدف الحوار من

(١) انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م / ٢ / ٧٥ . وانظر: سنن الترمذي ، الحافظ محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، نشر (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، حديث رقم (٢٠١٨) .



أقرب طريق ، ولا يضيع وقته ووقت الآخر في تكرار الكلام والإسهاب في المقدمات التي لا فائدة فيها ، بل يقتصر في الألفاظ والكلمات على قدر الحاجة ، ويوضح فكرته بأقرب عبارة وأوجز لفظ ، وهو ما نطلق عليه الحجة الرأسية حيث يذكر المحاور فكرته الرئيسة ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى تدعيمها بالأدلة ، في إجمال غير مخل ، وتفصيل غير ممل .

إن من فقه الحوار التحرز عن إطالة الكلام في غير فائدة ، وعن اختصاره اختصاراً يخل بفهم المقصود منه^(١) ، وأن يحقق التوازن الدقيق بين جفاف الحوار بسبب قلة الأدلة أو غموضها ، وبين غرق الحوار بسبب الإسهاب والتكرار غير المفيد.

وإن من المهم جداً أن تكون لغة التحوار واضحة. فوجود أي غبش في لغة الحوار سيعوق الرسالة التي يراد نقلها. ومن هنا فلا بد أن تستخدم مصطلحات واضحة ومتفق عليها ، وأن يكون المترجمون - حال وجودهم - على درجة مكنية من اللغة التي يتحدث بها المحاور . ولعل من المستحسن الاتفاق على مسرد بالمصطلحات المستخدمة في لغة الحوار ، والتنبيه إلى كل لفظة موهمة بالشرح والبيان .

وفي هذا السياق لابد من مراعاة متغيرات العصر ، فآليات وأدوات الحوار لم تعد هي الصورة السابقة التي يلتقي بها أشخاص مقابل أشخاص بأجسادهم ، فيتحاورون أو يختلفون ، فوسائل العصر الحديث كالإعلام بصورة المتعددة وتكنولوجيا الاتصالات المختلفة كالانترنت والأقمار

(١) الشنيطي : آداب البحث والمناظرة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ص ٩١ وما بعدها .



الاصطناعية وخلافه فرضت صورة أخرى من عمليات التحوار التي لا تتطلب في كثير من الأحيان الوجود الجسدي وهو بالمقابل يتطلب معه أن يتم ابتداء تفهم تلك التغيرات ومراعاة إمكانية تطوير وسائلنا الحوارية .

- القبول بسنة الاختلاف :

يجب أن ينطلق الحوار من رؤية تحمل في طياتها جملة من العناصر ، أهمها القبول الواعي بسنة الاختلاف بين البشر ، ووجود التنوع والتغير بين الملل، والوعي الشامل بأهمية التفاهم والعيش المشترك بين الناس .

ولقد اعترف تاريخ الإسلام وحضارته بواقع الأديان واللغات والقوميات، وعامل المسلمون أهل الملل الأخرى معاملة كريمة بلا خداع ولا ظلم ولا تعسف... وقد عاش في المجتمع المسلم: اليهودي والنصراني والمجوسي وغيرهم في داخل الدولة الإسلامية، ذلك أن الأصل في علاقة الشعوب والدول على هذه الأرض أن يعيشوا بتفاهم وتعاون من أجل خير الجميع، يأخذ بعضهم من بعض، وليس لأحد أن يفرض على أحد لغته أو دينه أو ثقافته أو مبادئه أو موازينه بالقوة، فهذا النوع من الاختلاف سنة كونية، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨) ، فأخبر سبحانه أنهم لا يزالون مختلفين أبداً، مع أنه قد خلقهم للاختلاف ، وقال الإمام مالك : خلقهم ليكونوا فريقاً في الجنة،

(١) انظر : تفسير النكت والعيون ، لأبي الحسن لماوردي ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ٢/ ٢٣٤ ، وتفسير معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين البغوي تحقيق محمد عبد الله النمر وزميله ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٤/ ١١٠ .



وفريقاً في السعير ، فالضمير في ﴿خَلَقَهُمْ﴾ عائد على الناس، فلا يمكن أن يقع منهم إلا ما هو سابق في العلم، وليس المراد - هنا - الاختلاف في الصور والألوان والأشكال، إنما المراد الاختلاف في الآراء والنحل والأديان والمعتقدات المتعلقة بما يسعد الإنسان به أو يشقى في الدنيا والآخرة^(١).

ومن ثم يرشد الإسلام المسلمين إلى أن الحوار طبيعة إنسانية، كما أنه ضرورة دينية، فقد كان مهمة الرسل جميعاً - صلوات الله - تعالى - وسلامه عليهم - وهو واجب على أتباع محمد ﷺ، مصداق قول الله - عز وجل - : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨)، فالمسلم منفتح على الحوار مع غيره من الأفراد والثقافات، ولكنه في ذات الوقت له ثوابته التي يتمسك بها، ومنطلقاته التي يصدر عنها: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤).

وقد كثر في الكتاب العزيز محاوراة أهل الكتاب خاصة^(١)، ومجادلتهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (آل عمران: ٦٥)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (آل عمران: ٧٠)،

(١) انظر: الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ، ص ١٠٨.



وقوله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٧١)، وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٥٩)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيُزِيدَكُمْ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٨)، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧)، ثم قوله تعالى مرشداً للمسلمين لخير السبل في مجادلة أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وموجهاً لاعتماد الدليل والبرهان على المقولات: ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الأنعام: ١٤٨).

كما أن الثقافة الإسلامية تؤمن بوجود مصطلحات متقابلة مثل: الإيمان والكفر، والهدى والضلال، والدنيا والآخرة، والجنة والنار، والعدل والظلم، والحق والباطل... الخ وهذه المصطلحات المتقابلة تقسم الفكر والثقافة بين المسلمين وغير المسلمين.



والإسلام يؤمن بأن كل ثقافة تطرح نفسها بواسطة مفاهيمها ومصطلحاتها، وبالتالي فإن الحوار بين ثقافتين أو أكثر يقتضي الاتفاق على مضامين ومعاني المفاهيم والمصطلحات، وتحديد المرجعية التي يرجع إليها عند الاختلاف في المعنى أو المضمون...

وبجمل من القول؛ فإن تعدد الشرائع سنة من سنن الله، ولا بد أن يستحضر المحاور في ذهنه أمراً مهماً وهو أن وجود المخالفين للدين الإسلامي أمر طبيعي، ولو شاء الله لجعل الناس كلهم أمة واحدة، ولو شاء لأخذ بأيديهم كلهم إلى الهداية، ولكنه أوضح الملل والشرائع وبينها ثم ترك الأمر إلى الناس يختارون ما شاءوا ثم يكون الحساب في الآخرة.

ومن منطلق سنة الاختلاف وحق السيادة وتقرير المصير، فجدير بالمحاور المسلم أن يجتهد في إيضاح القضايا التي تعاني منها أمة الإسلام من أجل الوصول إلى ما ينشده الحوار من التعايش وسيادة السلم والاستقرار، ولن يفلح أي حوار ولغة التسلط والهيمنة هي السائدة بين أطراف الحوار^(١).

وهذا يستدعي من المحاور الجمع بين التأصيل الشرعي والفقه بالواقع من معرفة بالنظم والمعاهدات والعلاقات الدولية، وهي مسألة مرتبطة بجوانب شرعية ودستورية وقانونية تتطلب أن يتم التعامل معها بعناية لتحقيق مقاصد الشرع والوصول إلى الحوار بأفضل صورة.

وقد بهر الإسلام المستشرقين بقيمه العادلة المتسامحة مع مخالفيه حتى قال

(١) المسلمون والأوروبيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش)، سامي الخزندار، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط (١) ١٩٩٧ م، ص ٥٩.



المستشرق الألماني آدم متز : " إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوروبا، التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى، وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، وأولئك هم "أهل الذمة"، الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلاً بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدة سياسية. وقد ظلت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاء غريبة، واستند أهل الذمة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود، وما منحوه من حقوق، فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين، وقد حرص اليهود والنصارى على أن تظل دار الإسلام غير تامة التكوين، حتى أن المسلمين ظلوا دائماً يشعرون أنهم أجانب منتصرون، لا أهل وطن، وحتى أن الفكرة الإقطاعية لم تمت، بل كان وجود النصارى بين المسلمين سبباً لظهور مبادئ التسامح عند المسيحيين، التي ينادي بها المصلحون المحدثون، وكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة، وما ينبغي أن يكون من وفاق، مما أوجد أول الأمر نوعاً من التسامح، الذي لم يكن معروفاً في أوروبا في العصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي : دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم" (١).

- تجنب الهوى ونبتذ التعصب:

الهوى هو أحد المزالق الخطيرة التي يمكن أن تؤثر على المتحاورين وتخرجهم عن طريق الخير، قال العليم الخبير لخاتم المرسلين ﷺ: ﴿فَإِنْ لَمْ

(١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٩٤م ١/٧٥.



يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ (القصص: ٥٠)، واتباع الهوى يؤدي إلى الفساد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٧١).

فصاحب الهوى لا يمكن أن يكون موضوعياً ولا منهجياً في حوارهِ، لأنه يريد إخضاع كل شيء لهواه، فالنصوص عنده تابعة لا متبوعة، والأدلة خادمة لا مخدومة، والنتائج عنده سابقة على الحوار... فهو إذا قرأ وإذا درس وإذا حاور... لا يفعل ذلك للوصول إلى الحقيقة... وإنما يفعل ذلك بحثاً عما ينصر رأيه وهواه... ويعضد فكرته ويقويها... فإن وجد مبتغاه فرح وأقبل، وإن وجد خلاف ذلك غض الطرف وأعرض.

ومن وسائل الهوى وطرائقه التي تخفى؛ الانتقائية. فكما أن الغلو في الانحياز الأعمى للأفكار التي يطرحها المتكلم غير مقبول؛ فإن انتقائية الكلام الذي يتوافق مع ما يحمله المرء من أفكار هو كذلك أمر مرفوض. فالإسلام يدعو إلى الحوار، ولكن ليس كحوار أصحاب الأهواء، والنظريات المسلمة عند أصحابها مقدما، بل حوار يقوم على الحق والصدق، وبلاغ ما أمر الله بتبليغه، للحفاظ على الإنسان في عاجل أمره وآجله، بمقومات موضوعية وأخلاقية تحفظ بها الحقوق والواجبات، وتصان روابط الناس على أساس من الحق الذي شرعه الله والأمن الذي دعا إليه (١).

(١) انظر: أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الناشر: الندوة، الرياض، ط٢، ١٤٠٨هـ، ص ٩.



والتعصب ظاهرة قديمة، موجودة في مختلف المجتمعات البشرية، وفي مختلف مستوياتها، وهي ظاهرة تمثل انحرافاً مرضياً، وهو ينشأ عن اعتقاد باطل أن المرء يحتكر الحق لنفسه. والمتعصب لا يفكر فيما يتعصب له، بل يقبله كما هو فحسب، لذا فلا يمكن لمتعصب أن يتواصل إلا مع من يردد نفس مقولاته. ومن سبل التعصب التي عابها القرآن الكريم، تقليد الآباء، والانصراف عن العقل والتدبر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٠)، وقال النبي ﷺ: ((اتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام)) (١)، لأن الكف عن محاورة هؤلاء حفظ للنفس عن الوقوع في حبال من لا عهد لهم ولا ميثاق، فهؤلاء يكتفى معهم بالبيان الذي جاء به القرآن بلاغاً للناس، وإنذاراً للعالمين، إذ "ينبغي أن يبنى الحوار على الاطمئنان والثقة بين الطرفين وإلا ضاع الاثنان في تلاعب الواحد بمقدرات الآخر" (٢).

ونبذ التعصب يستوجب مهاداً عقلياً يبدي فيه كل طرف استعداداً لقبول الحق، والتنزل مع خصمه مهما كان اعتقاده متيناً أن الحق معه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: ٢٤). ولا أدل من الأخذ بمبدأ الإذعان للحق من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾

(١) سنن الترمذي، حديث رقم (٣٠٥٨).

(٢) د. أمل المخزومي، "التعصب للرأي يهدر فرصة الاستفادة"، د. عبدالله السعداوي، "حرية التعبير وواجب الإصغاء"، منتديات الحوار الإلكتروني تحت المجهر، مجلة عريبات، www.arabiyat.com/magazine/publish/articale_641.shtml



(الزخرف : ٨١)، ولكن ذلك مرتبط بالبرهان والدليل المطالبة بالدليل والاحتجاج للقول ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة : ١١١)، وقال سبحانه : ﴿ فَاتُوا بِكُتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الصفّات : ١٥٧). ولا ووجه الحق ولا رد بمثل التّعصب ، قال أبو حامد الغزالي : " التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس وهو من آفات علماء السوء؛ فإنهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار، فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة، وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا إليه، ولو جاءوا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة - لا في معرض التعصب والتحقير - لأنجحوا فيه، ولكن لما كان الجاه لا يقوم إلا باستتباع، ولا يستميل الأتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم، اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم، وسموه ذباً عن الدين ونضالاً عن المسلمين، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس " (١).

- ترك المرء واللجاجة :

والمرء خلق مذموم، ينبغي للإنسان أن يتنزه عنه، وإذا اضطر إليه فيجب أن يكون بالتي هي أحسن : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾ (النحل : ١٢٥) قال الرازي : ومن لطائف هذه الآية أنه قال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ فقصر الدعوة على ذكر هذين القسمين لأن الدعوة إذا كانت بالدلائل القطعية فهي الحكمة ، وإن كانت بالدلائل الظنية فهي الموعظة الحسنة ، أما الجدل فليس من باب

(١) إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، ٢٦ / ١ .



الدعوة ، بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام
فلهذا السبب لم يقل " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل
الأحسن " ، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة ،
وإنما الغرض منه شيء آخر ، والله أعلم (١) .

ومعنى ذلك أن يتجنب الإنسان الجدل العقيم والفاحش والبذيء، وإذا أراد أن
يجادل فلا بد أن يجادل بالحسنى، وإذا وجد أن النقاش يقود إلى طريق مسدود،
فينبغي أن يتوقف عنه لأنه يصير عند ذلك عبثاً لا خير فيه، فكما قال ﷺ ((أنا
زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن
ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)) (٢) ، وقوله
ﷺ ((ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)) (٣) .

فرغم الاعتقاد بملكية الحق لا يكون إثباته عن طريق المراء والجدل العقيم ،
وإنما عبر الطرق والمسارات الشرعية التي تصل بسالكها إلى بيان الحق ، وعدم
الانتقال بأي حال من الأحوال من شواهد الأدلة إلى دوافع الآخر ، أو من
إقامة الحجج للتدليل على صحة ما نراه ونعتقده إلى إثارة الجدل للتدليل على
خطأ الآخر ، فيدور الحوار في حلقة مفرغة ، ويتفرع إلى مضايق متاهات
تتمزق فيها الأفكار ويقتل التفكير والتدبر (٤) .

(١) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي: بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ -

١٩٩٤م، تفسير سورة النحل آية ١٢٥ .

(٢) حديث حسن (سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب

الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١/ ٥٥٢ .

(٣) رواه الترمذي حديث رقم ٣١٧٦ .

(٤) انظر: قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات، د. عبد الله بن ضيف الله

الرحيلي، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤١٤هـ .



ثانياً : آداب الحوار - الصدق والإخلاص :

ويكون بالتجرد في طلب الحق من كل غرض دنيوي ، فلا سمعة ولا جاه ولا مال ، بل دعوة لله وإخلاص النية له ، وإفراغ القلب من كل ما يشوب صفاء القصد التعبدى للمولى وحده ، إذ " لا بد من حسن النية ؛ فلو تكلم بحق لقصد العلو في الأرض أو الفساد كان بمنزلة الذي يقاتل حمية ورياء ، وإن تكلم لأجل الله تعالى مخلصاً له الدين كان من المجاهدين في سبيل الله ومن ورثة الأنبياء خلفاء الرسل " (١) ، وعلى المحاور أن يوطن نفسه ، ويروضها على الإخلاص لله في كل ما يأتي وما يذر في ميدان الحوار وحلبته ، ومن ذلك أن يدفع عن نفسه حب الظهور والتميز على الأقران ، وإظهار البراعة وعمق الثقافة ، والتعالي على النظراء والأنداد . وإن قصد انتزاع الإعجاب والثناء واستجلاب المديح ابتداء وانتهاء ، مفسد للنية وللعمل ، وصارف عن الغاية .

ومن الصدق التمسك بحقائق الدين ، والصدع بها ، قولاً بالحق واحتراماً للطرف المحاور ، ومما جاء في الكتاب الصادر عن الفاتيكان عام ١٩٦٩ م : " هناك موقفان لا بد منهما أثناء الحوار ؛ الأول : أن نكون صرحاء ، وأن نؤكد مسيحيتنا وفقاً لمطلب الكنيسة ، والثاني سيفقد الحوار كل معناه إذا قام المسيحي بإخفاء أو بتقليل قيمة معتقداته التي تختلف مع القرآن (٢) " .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن قاسم ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، مكة المكرمة ٢٨ / ٢٣٥ .

(٢) التعايش السلمي ، هيوكتسكل ، نقله إلى العربية : المحامي جليل قسطو ، دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ص ٣ .



- التسليم للحق والقبول به :

ومن الآداب أن لا يستنكف المتحاور من قبول الحق ولو جاء ممن هو دونه علماً أو سناً أو قدراً، ومن الرجوع للحق بعد أن يتبين له؛ وقد أرشد القرآن إلى أن ابن آدم الأول تعلم من غراب: كيف يوارى سوءة أخيه؟!، كما أن سليمان - عليه السلام - تعلم من الهدهد مالاً يمكن يعلمه: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل: ٢١). وقد قال الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - يرشد قاضيه: "ولا يمنعنك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعته فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، فإن الحق قديم لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التماذي في الباطل" (١).

ولقد أثبت التجارب أن التواضع فضيلة تهدي صاحبها للحق، وأما الكبر والغرور بالنفس والإعجاب بها، فيصد عن الحق البين الظاهر، وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: ((الكبر بطل الحق وغمط الناس)) (٢)، وبطل الحق رده والإعراض عنه؛ كما أخبر الخالق - عز وجل - أن معصية إبليس كان الدافع إليها الكبر والغرور، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤)، ولما سأله الله - عز وجل - عن السبب قال معجباً: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (البقرة: ٣٤).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م / ١ / ١١٠.

(٢) صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، كتاب الإيمان، حديث رقم ٩١.



من طين ﴿الأعراف: ١٢﴾. ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه الباطل دون ما فيه من الحق" (١)، ولا يكون الحوار مثمرًا في مجال معرفة الحق إلا إذا كان قائماً على الأدلة والبراهين، ولقد علمنا الإسلام في مجال إحقاق الحق أن نتحاور مع الآخرين وفق قاعدة: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ١١١) فالمحاور المسلم لا يصدر في نشدان الحق عن طلب المغالبة غروراً، أو الجدال بالباطل، كما أنه لا يقبل الدخول في الجدال المذموم عند إثارة أية فكرة أمامه، فذلك عبث وجهد ضائع، ويوجه الحوار إلى الفكرة التي تظهر الحق وتساعد على بناء حياة كريمة قائمة على مد الجسور بين البشر وصولاً إلى ما فيه الخير والنفع.

- تجنب اللدد، والأخذ باللين :

اللدد هو الشدة والعنف ومجاوزة حد الاعتدال، والانتقال من تأييد الرأي إلى التنديد، والتهكم والسخرية. وكثيراً ما يفضي الحوار إلى خصومات وعداوة، ثم التناز وتبادل الاتهام، وهي أمور أنست المتحاورين قضاياهم، وشغلتهم بشخصياتهم، وكثيراً ما انتهت حوارات "داخلية" إلى الرمي بالكفر أو الفسوق أو الإلحاد، وضياع الحق وطمس معالمه، وبقاء الناس في حيرتهم لا يعرفون الهدى، ولا يهتدون إلى الصواب. ومن هنا نفهم الحكمة البالغة في قول رسول الله ﷺ: ((إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ)) (٢)، والألد: الخصم الجدُّ

(١) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، جامعة الإمام، الرياض، ط ٢، ١٤١١ هـ، ٢/ ٣٤٢.

(٢) الجامع الصحيح، للإمام البخاري، تحقيق: حمد على القطب، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١ هـ / ٣ / ١٣٦٨.



الذي لا يزيغ إلى الحق ... الشديد الخصومة^(١).

ومهما يكن من شيء ، فإن الحوار لون من ألوان الدعوة والبيان ، ومناقشة الأفكار ومحاولة راقية للفهم والمعرفة ، ومن ثم فهو جلسة علم وتعلم وليس جلسة تصارع وتنافر ، والقول اللين من لوازمه مهما كان حال الطرف المحاور ، قال تعالى لنبيه موسى - عليه السلام - وهو يرسله إلى مدعي الربوبية " فرعون " : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي . اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى . فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه : ٤٢ - ٤٤) .

كما أوصى الله - جل وعلا - بالختام الحسن مهما كانت النتائج ، فقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (القصص : ٥٥) ، فمع قبول رأي الآخر أو رفضه تبقى طهارة القلب وصفاء السريرة نحوه ، مع قبول معذرتة والعفو عن خطئه إن وقع . وقد ذكر عن حاتم الأصم أنه قال : معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي ، قالوا : وما هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه ، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) فقال : سبحانه الله ! ما كان أعقله من رجل^(٢).

ذلك أن الإسلام لما شرع الحوار شدد على أن يكون رحمة ولينا ، ومجادلة بالتي هي أحسن ، فقال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل : ١٢٥) وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت : ٤٦) .

(١) لسان العرب (ل د د) .

(٢) كتاب الفرق بين النصيحة والتعيير ، الحافظ بن رجب ، عمان ، دار عمر ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٤ .



والملاحظ أن القرآن الكريم لم يرتض لأتباعه المنهج الحسن في الحوار، بل المنهج الأحسن. يقول القشيري: "ينبغي أن يكون منك للخصم تبين، وفي خطابك تلين، وفي قبول الحق إنصاف، واعتقاد النصره - لما رآه صحيحا - بالحجة وترك الميل إلى الشيء بالهوى" (١)، ف﴿التي هي أحسن﴾، أي: ألطف وأرفق، وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم، والمشغبة بالنصح، بأن تدعوه إلى الله برفق ولين، وتبين له الحجج والآيات من غير مغالبة ولا قهر (٢).

بل لقد حث القرآن الكريم المسلمين أن يكون هذا منهجهم في حوارهم وحديثهم كله مع الآخرين، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء: ٥٣).

ومن لين الجانب؛ التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام، قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٥٣)، وقال سبحانه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة: ٨٣)، ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد ﷺ في هذا الباب، الانصراف عن التعنيف في الرد على أهل الباطل، حيث قال الله لنبيه: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ . اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الحج: ٦٨-٦٩)،

(١) انظر: لطائف الإشارات، عبد الكريم القشيري، تحقيق: إبراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ٣/ ١١٤.

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله البيضاوي المتوفى، دار الفكر بيروت، ١٤١٦هـ/٤/ ٤٧٣.



وألا يحرص المحاور "الداعية" على إحراج الخصم ، ولو كانت الحجة بينةً والدليل دامغاً ، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف . وقد تُفحم الخصم ولكنك لا تقنعه ، وقد تُسكته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه ، وأسلوب التحدي يمنع التسليم ، ولو وُجدت القناعة العقلية ، والحرص على القلوب واستئلال السخائم أهم وأولى عند الداعية المسلم .

ومن أجل هذا فليحرص المحاور ؛ ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة فهذا رعونة وإيذاء للمحاور ، ورفع الصوت لا يقوّي حجة ولا يجلب دليلاً ولا يقيم برهاناً ؛ بل إن صاحب الصوت العالي لم يعلّ صوته - في الغالب - إلا لضعف حجته وقلة بضاعته ، فيستر عجزه بالصراخ ويواري ضعفه بالعويل . وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان ، والفكر المنظم والنقد الموضوعي ، والثقة الواثقة .

ويستتبع هذا التعبير بلغة بسيطة غير ملتبسة ولا غامضة، والرفق في الكلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٤) ، والتأدب في الخطاب: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ (الأنعام: ١٥٢) ، وطرح اللغو، واللغو فضل الكلام وما لا طائل تحته، فلا يخوض المحاور فيما لا يثري المحاور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٣) ، والابتعاد عما لا يفيد في الحوار يحفظ هيبة المحاور، ويحفظ وقته، وأوقات الآخرين. وما تقدم لا يتعارض وحاجة المحاور إلى تغيير نبرات صوته حسب استدعاء المقام ونوع الأسلوب ، لينسجم الصوت مع المقام والأسلوب ، استفهامياً كان، أو تقريرياً أو إنكارياً أو تعجبياً ، أو غير ذلك . مما يدفع الملل والسآمة ، ويعين على إيصال الفكرة ، ويجدد التنبيه لدى المشاركين والمتابعين .



ويشرع الحماس ورفع الصوت بالحجة مع بعض الحالات الاستثنائية التي يسوغ فيها اللجوء إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر ؛ وذلك فيما إذا استطال وتجاوز الحد ، وطغى وظلم وعادى الحق ، وكابر مكابرة بيّنة ، وفي مثل هذا جاءت الآية الكريمة : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ (العنكبوت: ٤٦) ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجُحْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ﴾ (النساء: ١٤٨) ففي حالات الظلم والبغي والتجاوز ، قد يُسمح بالرد المفحم الحادّ المركز على الخصم وإحراجة ، وتسفيه رأيه ؛ لأنه يمثل تكبر الباطل ، وحسن أن يرى الناس عاقبة التكبر هزيمة واندحاراً.

- حسن الاستماع:

الحوار هو فن السماع للآخر ، وعدم الطمع في الكلام بدلاً منه ، لأن هذا الطمع يزهدنا فيما يقوله من نتحاور معه ، ويحرماننا من تدبر قوله الذي لا يتحقق إلا بحسن الاستماع لهذا القول حتى آخره ، وحسن الاستماع يشعر المحاور باهتمامنا بما يقول ، وجديتنا في التحاور معه ، وانظر إلى أجواء الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وعتبة بن ربيعة واللغة السامية التي حفت حوارهما .

وحسن الاستماع يتضمن إعطاء المحاور الفرصة كاملة حتى يتم كلامه ، مع استيضاح أي غموض فيما يعرضه من أفكار .. إن كل ذلك لا بد أن يكون هو السمة المميزة لكل حواراتنا ، فإذا تبين لنا خطأ الآخر ، فإن السماع الكامل له وعدم مقاطعته هو المقدمة الصحيحة لرجوعه عن الخطأ مهما كان عناده وغلظته ؛ فإن أشد الناس جفافاً في الطبع وغلظة في القول لا يملك إلا أن يلين وأن يتأثر



إزاء مستمع صبور عطوف يلوذ بالصمت إذا أخذ محدثه الغضب^(١).

- الانفتاح على الآخر

عندما تسود العلاقات الصراعية مع المختلفين فكرياً ومذهبياً، ينزع كل طرف إلى التخندق وعدم معرفة الآخر ومصادره الفكرية ومنهج بناء الرؤى عنده؛ مما يؤدي بالحوار إلى عمليات مزاجية أقرب إلى السجلات الانطباعية منها إلى الحوار الجدي والعميق. فكل طرف يختزل الآخر إلى مجموعة أو حزمة من المقولات العامة السطحية -البالغة العمومية-، ويصبح بعد ذلك هذا الطرف أسيراً لتلك المقولات في معرفة الآخر، بل وفي نزاعه معه.

في ضوء آلية التعميم والتجزئة وانتشارها وإعادة إنتاجها، يرى كل طرف الآخر عبر تلك الصور النمطية، ومن ثم يصبح المجال الفكري أقرب إلى الاجترار منه إلى التكرار؛ مما يكرس منهج الحلقات المغلقة في تكرار الحجة ونقيضها، وتصور مقولات الطرف الآخر، فغالباً ما يقوم كل فريق بالرد على ما يتصوره حججاً للطرف الآخر، وغالباً ما ينزع كل فريق أضعف حجج المخالفين ويجردها عن سياقها الفكري، وينزعها من مسارها، ثم يقوم بتقويضها ونقدها، ثم تُقدّم على أنها هدم لحجج المخالفين من الأساس.

ولما كان الإسلام دين دعوة وسلام ورحمة، فقد حث على التعارف ومد الجسور مع البشر ابتغاء البيان لما عند المسلمين من الحق، وتعاوناً على القضايا الكلية المطروحة في مجال الفكر والعمل، وأرشد الإسلام المسلمين إلى خير

(١) انظر: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس، داييل كارنيجي، المكتبة الحديثة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ص٩٢.



أساليب الحوار، وخاصة في مجال الأفكار وفي نطاق المنهج العقلي، من خلال طرح الفروض المحتملة وإسقاط الفروض الخاطئة وإبقاء الصحيح، وفق منهج النفي والإثبات العقلي، أو منهج عرض الأفكار والأفكار المضادة. كما أمر الله - تعالى - المسلمين باتخاذ الأسباب والسبل لإسماع الوحي لمن لم يسمعه، ثم تجري المحاوره بعد ذلك حول ما لفت القرآن النظر إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَإِنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥١ - ١٥٣)، كما أمر الخالق - سبحانه وتعالى - المسلمين بإشاعة الخير في الكون ومع جميع البشر، ولا يتم ذلك إلا بالتحاور والاتفاق. قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

ومعلوم أن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه، والله جل وعلا يقرر هذا الأمر في كتابه العزيز فيقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦) ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩)، وقال



تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ٢٧٢)؛ ذلك أن الإسلام لا يقبل النفاق بحال من الأحوال ، والإسلام كما هو معلوم شيء يستقر في القلب أولاً ، فكيف يمكن أن يكره الإسلام غير المسلم على الدخول فيه و هو شيء اعتقادي لا بد فيه من موافقة القلب للسان ، و هو غير متوافر في حالة الإكراه .

والإسلام أيضاً مع هذا يوجب على المسلمين دعوة غير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا شك أن هذا الأمر سينشئ نوعاً من الحوار و لا بد ، إذ أن من حق كل شخص أن يدافع عن معتقده بالأدلة والبراهين ، كما أنه لا يمكن لأحد أن يتخلى عن دينه و يدخل ديناً آخر؛ إلا إذا استطاع أن يزيل ما في نفسه من تساؤلات واستفسارات .



خاتمة

مما سبق يتبين أن الحوار إذا كان وفق ضوابط الشرع الإسلامي، فإنه يكون وسيلة فعالة من وسائل إصلاح الفرد والجماعة والكون، فبعض القرارات التي يتخذها المتحاورون قد تكون لها آثارها البعيدة المدى في المكان والزمان. كما أن الحوار قد يصبح وسيلة لضياح الوقت وتمييع القضايا، وإضاعة حقوق العباد والبلاد إذا فقدت الضوابط والمقاييس الصحيحة، فيكفي أن يطلع الإنسان على نتائج القرارات التي اتخذت في المحافل الدولية بشأن كشمير وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيستان. والمسلم الصادق يحاول دائماً لفت النظر إلى الضوابط القائمة على العدل والحق وإشاعة الخير في الأرض ومنع الظلم والطغيان والشر، فهو يصدر عن مقاييس الله تعالى القائل: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

وما يمكن أن أوصي به في سياق الحوار بين أتباع الأديان هو السكينة السكينة في الحوار، وأن تسوده لغة تأليفية "دعوية"، مع التأكيد الشديد على الاستمساك بالعقيدة مبادئها، وتجنب أي تنازلات سيكون أول الرافضين لها الطرف الذي نحاوره، فالعقيدة الإسلامية ومبادئ الإسلام من الوضوح والبيان بحيث لا يمكن الالتفاف عليها ولا المجاملة بشأنها.



المراجع

- آداب البحث والمناظرة ، الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، بكر أبو زيد .
- الإسلام والأديان لمحمد عوض .
- اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ، دار ابن حزم، بيروت ط ١ ، ١٩٨٣ م.
- الاختلاف لا يعني الخلاف، محمد المفتي ، مجلة المؤتمر، السنة الأولى، العددان (الثامن والتاسع) (سبتمبر ، أكتوبر) ٢٠٠٢ م .
- الاتجاهات الوطنية ، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٦٢ م .
- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت .
- أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الناشر : الندوة ، الرياض، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ .
- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية ، طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد عبد الله البيضاوي المتوفى ، دار الفكر بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- التعايش السلمي، هيوكتسكل ، نقله إلى العربية : المحامي جليل قسطو، دار النشر للجامعيين ، بيروت.
- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٤ م .
- تفسير النكت والعيون ، لأبي الحسن لماوردي ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) .
- تفسير معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين البغوي تحقيق : محمد عبد الله النمر وزميله، دار طيبة ، الرياض ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .
- تاريخ ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- تسامح الغرب مع المسلمين في العصر الحاضر ، عبد اللطيف الحسين، دار ابن الجوزي، الدمام ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ .
- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بدر الدين بن جماعة، دار الكتب العلمية ، بيروت



- التربية الحوارية: دراسة في إشكاليات الاختلاف والوحدة في الإطار الإسلامي، علي القرشي، مجلة المسلم المعاصر (بيروت). - ع ٨٨ (١٩٩٧-١٩٩٨) م
- التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي، الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلين آيري بالولايات الأمريكية عام ١٩٧٨ م.
- التنصير، عبد الرحمن الصالح، دار الكتاب والسنة، برمنجهام، ط ١، ١٤٢٠ هـ
- الجامع الصحيح، للإمام البخاري، تحقيق: حمد على القطب، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١ هـ.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- حقيقة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، سعد الصيني.
- "الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية"، أحمد عبد الرحمن الصويان، دار الوطن للنشر، الرياض.
- الحوار مع أهل الكتاب: أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبد الله القاسم، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ.
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام، الرياض.
- دعوة التقريب بين الأديان، أحمد القاضي، دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- دعوى "وحدة الأديان: أهدافها، حكمها، خطرها"، علي أبو لوز، ومحمود المطر، دار المسلم، الرياض، ط ١، ١٤٢٠ هـ، ط الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م.
- روح المعاني، محمود الألوسي، دار الفكر، بيروت
- الرد على المنطقيين ص ٢٨٢ ومجموع الفتاوى
- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
- سنن الترمذي، الحافظ محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، نشر (دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- الصفدية الصفدية - ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ٢، ١٤٠٦ هـ
- ضوابط المعرفة، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٨ هـ
- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد



- عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- فتح القدير ، لمحمد الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت 1401 هـ ، ٢٧٦/٤
- فتاوى اللجنة الدائمة ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م
- قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ورد الشبهات ، د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، دار المسلم ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ .
- القواعد الفقهية للدكتور يعقوب الباسين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، عام ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
- كتاب الفرق بين النصيحة والتعير ، الحافظ بن رجب ، عمان ، دار عمر ، ١٤٠٦ هـ .
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ، داييل كارنيجي . ، المكتبة الحديثة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، مادة (ضبط).
- لطائف الإشارات ، عبد الكريم القشيري ، تحقيق : إبراهيم بسيوني ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
- مجلة عربيات ، مقال : د. أمل المخزومي ، " التعصب للرأي يهدر فرصة الاستفادة " ، ومقال : د. عبدالله السعداوي ، " حرية التعبير وواجب الإصغاء " ، منتديات الحوار الإلكتروني تحت المجهر www.arabiyat.com/magazine/publish/articale_641.shtml
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن بن قاسم ، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، مكة المكرمة ٢٨ / ٢٣٥ .
- مختصر الفتاوى المصرية . ابن تيمية ، اختصار ، ط دار التقوى ، دمشق ،
- المسلمون والأوروبيون (نحو أسلوب أفضل للتعايش) ، سامي الخزندار ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط (١) ١٩٩٧ م .
- مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا ، محمد عمارة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .
- مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي - بيروت
- موقع الإسلام اليوم مقال الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه : أبو زيد بن محمد مكي
- منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية ، جامعة الإمام ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤١١ هـ .
- نظم الدرر البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- الولاء والبراء ، محمد سعيد القحطاني ، دار طيبة ، الرياض ، ط (٢) ١٤٠٤ هـ ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .